(سورة النحل)

{ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

{ يُنَزِّلُ ٱلْمَلاۤئِكَةَ بِٱلْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَٱتَّقُونِ }

{ أتى أمرُ الله } لما كان صلى الله عليه وسلم من أهل القيامة الكبرى يشاهدها ويشاهد أحوالها في عين الجمع، كما قال صلى الله عليه وسلم:

« **بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين** » أخبر عن شهوده بقوله تعالى:

{ أتى أمر الله } ولما كان ظهورها على التفصيل بحيث تظهر لكل أحد لا يكون إلا بوجود المهدي عليه السلام قال: { فلا تستعجلوه } لأن هذا ليس وقت ظهوره، ثم أكد شهوده لوجه الله وفناء الخلق في القيامة بقوله:

{ سبحانه وتعالى عمّا يُشْرِكون } من إثبات وجود الغير. ثم فصّل ما شهد في عين الجمع لكونه في مقام الفرق بعد الجمع يشاهد كثرة الصفات في عين أحدية الذات بحيث لا يحتجب بالوحدة عن الكثرة ولا بالعكس،كما ذكر في قوله تعالى:

{ شَهِدَ ٱللَّهُ }[آل عمران، الآية: ١٨]

الآية، فقال: { ينزل الملائكة بالروح } أي: العِلْم الذي يحيي به القلوب، يعني: القرآن { من } عالم { أمره } الذي انتقش فيه { على من يشاء من عباده } المخصوصين بمزيد عنايته، إن أخبروهم بالتوحيد والتقوى، فبين بعد بيان أحدية الذات عالم الصفات الحقيقية بتنزيل الروح الذي هو العلم، وإثبات المشيئة التي هي الإرادة، وعالم الأسماء بإثبات الملائكة، وعالم الأفعال بالإنذار.

{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

{ خَلَقَ ٱلإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ }

{ وَٱلأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }

{ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ }

{ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ ٱلأَنفُسِ
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }
{ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }
{ وَعَلَىٰ ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }
{ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ }
{ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }
{ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }
{ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ }
{ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }
{ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }
{ وَعَلامَاتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }
{ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ }
{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }
{ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ }
{ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ }
{ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }
{ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ }
{ لاَ جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ }
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَآ أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ }

{ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ }

{ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ }

{ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوءَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ }

{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

{ فَٱدْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ }

ثم عدّ الصفات الإضافية كالخلق والرزق، وفصّل النِعَم المتعددة كالنعم وغيرها. ولما ظهر الحق والخلق ظهر طريق الحق والباطل، فقال: { وعلى الله قصد السبيل }

أي: عليه لزوم السبيل المستقيم والهداية إليها لأهله، كما قال:

{ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

[هود، الآية: ٥٦] أي: كل من كان على هذا الصراط الذي هو طريق التوحيد لا بدّ وأن يكون من أهله تعالى لأنه طريقه الذي يلزمه. ومن السبيل { جائر } يعني بعض السبل، وهي السبل المتفرقة مما عدا سبيل التوحيد جائر عادل عن الحق، موصل إلى الباطل لا محالة، فهي سبيل الضلالة كيفما كانت.

ولم يشأ هداية الجميع إلى السبيل المستقيم لكونها تنافي الحكمة.

{ الذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم } قد مرّ أن السابقين الموحدين يتوفاهم الله تعالى بذاته، وأما الأبرار والسعداء فقسمان: فمن ترقى عن مقام النفس بالتجرّد ووصل إلى مقام القلب بالعلوم والفضائل يتوفّاهم ملك الموت، ومن كان في مقام النفس من العباد والصلحاء والزهّاد والمتشرّعين الذين لم يتجرّدوا عن علائق البدن بالتزكية والتحلية تتوفاهم ملائكة الرحمة بالبشرى بالجنة، أي: جنّة النفس التي هي جنة الأفعال والآثار.

وأما الأشرار الأشقياء فكيفما كانوا تتوفاهم ملائكة العذاب، إذ القوى الملكوتية المتصلة بالنفوس تتشكل بهيئات تلك النفوس، فإذا كانت محجوبة ظالمة كانت هيئاتهم غاسقة ظلمانية هائلة، فتتشكل القوى الملكوتية القابضة لنفوسهم بتلك الهيئات لمناسبتها، ولهذا قيل: إنما يظهر ملك الموت على صورة أخلاق المحتضر، فإذا كانت رديئة، ظلمانية، كانت صورته هائلة، موحشة، غلب على من يحضره الخوف والذعر، وتذلّل وتمسكن، ونزل عن استكباره، وأظهر العجز والمسكنة، وهذا معنى قوله: { فألقوا السلم } أي: سالموا، وهانوا، ولانوا، وتركوا العناد والتمرّد وقالوا: { ما كنا نعمل من سوء } فأجيبوا بقولهم:

{ بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم } الأفعال.

{ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ }

{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ }

{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }

{ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }

{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلاَّ ٱلْبَلاغُ ٱلْمُبِينُ }

{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلْطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ }

{ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ
وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ }
{ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ
بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }
{ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ } *
{ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }
{ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلأَجْرُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }
{ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً
نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَٱسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ }
{ بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }
{ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ }
{ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ }
{ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }

وأما المتّقون عن المعاصي والمناهي، الواقفون مع أحكام الشريعة، المعترفون بالتوحيد والنبوّة على التقليد لا التحقيق، وإلا لتجرّدوا بعلم اليقين عن صفات النفس إلى مقام القلب، فتتوفاهم الملائكة طيبين على صورة أخلاقهم وأعمالهم الطيبة الجميلة، فرحين مستبشرين { يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة } أي: الجنة المعهودة عندهم، وهي جنة النفوس من جنات الأفعال { بما كنتم تعملون }.

{ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء } إنما قالوا ذلك عناداً وتعنتاً عن فرط الجهل، وإلزاماً للموحدين بناء على مذهبهم،

إذ لو قالوا ذلك عن علم ويقين لكانوا موحدين لا مشركين بنسبة الإرادة والتأثير إلى

الغير، لأن من علم أنه لا يمكن وقوع شيء بغير مشيئة من الله، عَلِم أنه لو شاء كل من في العالم شيئاً لم يشأ الله ذلك لم يمكن وقوعه، فاعترف بنفي القدرة والإرادة عما عدا الله تعالى فلم يبق مشركاً، قال الله تعالى:

{ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ }[الأنعام، الآية: ١٠٧].

{ كذلك فعل الذين من قبلهم } في تكذيب الرسل بالعناد.

{ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } الفرق بين إرادة الله تعالى وعلمه وقدرته لا يكون إلا بالاعتبار، فإن الله تعالى يعلم كل شيء ويعلم وقوعه في وقت معين بسبب معين على وجه معين، فإذا اعتبرنا علمه بذلك قلنا بعالميته، وإذا اعتبرنا تخصيصه بالوقت المعين والوجه المعين قلنا بإرادته، وإذا اعتبرنا وجوب وجوده بوجود ما يتوقف عليه وجوده في ذلك الوقت على ذلك الوجه المعلوم قلنا بقدرته، فمرجع الثلاثة إلى العلم. ولو اقتضى علمنا وجود شيء ولم يتغير ولم يحتج إلى تروّ وعزيمة غير كونه معلوماً وتحريك الآلات لكان فينا أيضاً كذلك.

{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلاَلُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلْشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ } { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلاۤئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } { وَقَالَ ٱللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ } { وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ } { وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } { ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } { لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }

{ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء } أي: ذات وحقيقة مخلوقة، أية ذات كانت من المخلوقات { يتفيأ ظلاله } أي: يتجسد ويتمثل هياكله وصوره، فإن لكل شيء حقيقة هي ملكوت ذلك الشيء وأصله الذي هو به، هو كما قال تعالى:

{ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ }[يس، الآية: ٨٣].

وظلاله هو: صفته ومظهره، أي: جسده الذي به يظهر ذلك الشيء.

{ عن اليمين و } عن { الشمائل } أي: عن جهة الخير والشرّ { سُجّدَاً لله } منقادة بأمره، مطواعة لا تمتنع عما يريد فيها، أي: يتحرك هياكله إلى جهات الأفعال الخيرية والشرّية بأمره { وهم داخرون } صاغرون، متذللون لأمره، مقهورون.

{ ولله يَسْجُد } ينقاد { ما في السموات } في عالم الأرواح من أهل الجبروت والملكوت والأرواح المجرّدة المقدّسة { وما في الأرض } في عالم الأجساد من الدواب والأناسيّ والأشجار وجميع النفوس والقوى الأرضية والسماوية

{ وهم لا يَسْتَكْبِرون } لا يمتنعون عن الانقياد والتذلّل لأمره { يخافون ربّهم } أي: ينكسرون ويتأثرون وينفعلون منه انفعال الخائف { من فوقهم } من قهره وتأثيره وعلوّه عليهم { ويفعلون ما يؤمرون } طوعاً وانقياداً بحيث لا يسعهم فعل غيره.

{ إذا فريق منكم بربهم يُشْرِكون } بنسبة النعمة إلى غيره ورؤيته منه، وكذا بنسبة الضرّ إلى الغير وإحالة الذنب في ذلك عليه، والاستعانة في رفعه به. قال الله تعالى:

« أنا والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخْلُقْ ويُعْبَد غيري،وأرْزُق ويُشْكر غيري »،

وذلك هو كفران النعمة والغفلة عن المنعم المشار إليهما بقوله:

{ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون } وبال ذلك الاعتقاد عليهم،

أو فسوف تعلمون بظهور التوحيد أن لا تأثير لغير الله في شيء.

{ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمّا رَزَقْنَاهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ }

{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ }

{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }

{ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }

{ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }

{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ }
{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ
أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ }
{ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }
{ وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }{ وَٱللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ }
{ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ }
{ وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }
{ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً
وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }
{ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ
مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }
{ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ
بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }
{ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ
عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ }

{ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ }

{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ }

{ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }

{ ويجعلون لما لا يعلمون } وجوده مما سواه { نصيباً مما رزقناهم }

فيقولون: هو أعطاني كذا، ولو لم يعطني لكان كذا، وفلان رزقني وأعانني، فيجعلون لغيره تأثيراً في وصول ذلك إليه، وإن لم يثبتوا له تأثيراً في وجوده فقد جعلوا له نصيباً مما رزقهم الله.

{ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }

{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

{ ضَرَبَ الله مثلاً } للمجرّد والمقيد والمُشْرِك والموحد { عبداً مملوكاً } محبّاً لغير الله، مؤثراً له بهواه، فإن المقيد بالشيء يدين بدينه ويصدر عن حكمه، ويتصرّف بأمره، فهو عبده إذ كل من أحب شيئاً أطاعه، وإذا أطاعه فقد عبده. فمنهم من يعبد الشيطان ومنهم من يعبد الشهوة ومنهم من يعبد الدنيا أو الدينار أو اللباس، كما قال عليه الصلاة والسلام: « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة** » ، وقال الله تعالى:

{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ }

[الجاثية، الآية: ٢٣] وإذا عبده كان مملوكه ورقيقه.

{ لا يقدر على شيء } لأن المحب والعابد لا يرتقي همته وتأثيره وقوّة نفسه من

محبوبه ومعبوده وإلا لما كان مقهوراً له، أسيراً في وثاقه، بل ينقض منه ومعبوده عاجز لا تأثير له، بل لا وجود سواء كان جماداً أو حيواناً أو إنساناً أو ما شئت، فهو أعجز منه وأذلّ، ولهذا قيل: إن الدنيا كالظلّ، إذا تبعته فاتك وإن تركته تبعك، فإن تابع الدنيا أحقر قدراً من الدنيا وأقلّ خطراً، ولا تأثير للدنيا

فكيف به حتى يحصل له وبسببه شيء؟ وإنّ الدنيا ظلّ زائل، فهو ظل الظل ولا ظلّ لظلّ الظلّ، بل الظلّ للذات ولا ذات له فلا ملك له ولا قدرة.

{ ومن رزقناه منا رزقاً حسناً } ومن أحبنا وأقبل بقلبه علينا، وتجرّد عما سوانا، وانقطع إلينا، أعطيناه الأيد والقوة، ورزقناه المُلْك والحكمة، وأسبغنا عليه النعمة الظاهرة والباطنة لأنه متوجه إلى مالك المُلْك، منعم الكل، منيع القوى والقدر، فأكسب نفسه القوة و التأثير والقدرة منه، وتأثر منه الأكوان والأجرام وأطاعه الملك والملكوت كما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام:

« يا دنيا اخدمي من خدمني، واتعبي من خدمك ».

ثم إذا ربت همّته الشريفة عن الأكوان ولم تقف بمحبته مع غير الله ولم يلتفت إلى ما سواه زدنا في رزقه فآتيناه صفاتنا ومحونا عنه صفاته، فعلمناه من لدنا علماً وأقدرناه بقدرتنا، كما قال تعالى: « **لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به** « ، الحديث.

{ فهو يُنْفِق منه سرّاً وجهراً } يُنْفق من النعم الباطنة كالعلم والحكمة سرّاً، ومن الظاهرة جهراً، أو ينفق من كلتيهما سرّاً كالذي يصل إلى الناس من غير تسببه لوصوله ظاهراً وهو في الحقيقة منه وصل لأنه حينئذ واسطة الوجود الإلهي ووكيل حضرته وجهراً كالذي يتسبب هو بنفسه ظاهراً لوصوله

{ هل يستوون } استفهام بطريق الإنكار وكذا المشرك كالأبكم الذي لم يكن له استعداد النطق في الخلقة لأنه ما استعدّ للإدراك والعقل الذي هو خاصية الإنسان، فيدرك وجوب وجود الحق تعالى وكماله وإمكان الغير ونقصانه فيتبرأ عن غيره ويلوذ به عن حول نفسه وغيره وقوّتهما.

{ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلْسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }
{ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱللَّهُ
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }
{ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلأَنْعَامِ
بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ }
{ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً
وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ
كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }
{ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ }
{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ }

{ ولله غيبُ السموات والأرض } أي: ولله علم الذي خفي في السموات والأرض من أمر القيامة الكبرى، أو علم مراتب الغيوب السبعة التي أشرنا إليه من غيب الجنّ والنفس والقلب والسرّ والروح والخفي وغيب الغيوب أو ما غاب من حقيقتهما أي: ملكوت عالم الأرواح وعالم الأجساد { وما أمر } القيامة الكبرى بالقياس إلى الأمور الزمانية { إلاّ } كأقرب زمان يعبر عنه مثل لمح البصر { أو هو أقرب } وهو بناء على التمثيل وإلا فأمر الساعة ليس بزماني وما ليس بزماني يدركه من يدركه لا في الزمان { إن الله على كل شيء قدير } يقدر على الإماتة والإحياء والحساب لا في زمان كما يشاهد أهله وخاصته.

{ ألم يروا إلى الطير } القوى الروحانية والنفسانية من الفكر والعقل النظري والعملي، بل الوهم والتخيّل { مسخرات في جوّ السماء } أي: فضاء عالم الأرواح { ما يمسكهنّ } من غير تعلق بمادة ولا اعتماد على جسم ثقيل { إلا الله }.

{ يعرفون نعمة الله } أي: هداية النبي أو وجوده لما ذكرنا أنّ كل نبيّ يبعث على

كمال يناسب استعدادات أمّته ويجانسهم بفطرته، فيعرفونه بقوّة فطرتهم { ثم ينكرونها } لعنادهم وتعنتهم بسبب غلبة صفات نفوسهم من الكبر والأنفة وحبّ الرياسة أو لكفرهم واحتجابهم عن نور الفطرة بالهيئات الغاسقة الظلمانية وتغير الاستعداد الأول { وأكثرهم الكافرون } في إنكاره لشهادة فطرهم بحقيته.

{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ }

{ وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }

{ وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰؤُلآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْاْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ }

{ وَأَلْقَوْاْ إِلَىٰ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }

{ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ }

{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَـٰؤُلآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ }

{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

{ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً } أي: نبعث نبيهم على غاية الكمال الذي يمكن لأمّته الوصول إليه أو التقرّب منه والتوجه إليه لإمكان معرفتهم إياه فيعرفونه، ولهذا يكون لكل أمة شهيد غير شهيد الأمة الأخرى، ويعرف كل من قصر وخالف نبيه بالإعراض عن الكمال الذي هو يدعو إليه، والوقوف في حضيض النقصان قصوره واحتجابه فلا حجة له ولا نطق، فيبقى متحيّراً متحسراً، وهو معنى قوله: { ثم لا يؤذن للذين كفروا } ولا سبيل له إلى إدراك ما فاته من كماله لعدم آلته، ولا يمكن أن يرضى بحاله لقوّة استعداده الفطري الذي جُبِلَ عليه، وشوقه الأصلي

الغريـزي إليـه، فهـو مكظـوم لا يسـتعتب ولا يسـترضي.
{ وألقوا إلى الله يومئذ السلم } أي: الاستسلام والانقياد.
وقد جاء إنكارهم كقوله تعالى:

{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ }

[المجادلـة، الآيـة: ١٨] وذلـك بحسـب المواقـف، فالإنـكار في الموقـف الأول وقـت قـوّة هيئـات الرذائـل وشـدّة شـكيمة النفـس في الشـيطنة، وغايـة البعـد عـن النـور الإلهـي للاحتجـاب بالحجـب الغليظـة والغـواشي المظلمـة حتـى لا يعلـم أنـه كان يـراه ويطلـع عليـه ونهايـة تكـدّر نـور الفطـرة حتـى يمكنـه إظهـار خـلاف مقتضـاه.
والاستسـلام في الموقـف الثـاني بعـد مـرور أحقـاب كثـيرة مـن سـاعات اليـوم الـذي كان مقـداره خمسـين ألـف سـنة حـين زالـت الهيئـات، ورقـت وضَعُفَـت شراشر النفـس في رذائلهـا، وقـرب مـن عـالم النـور لرقـة الحجب ولمعـان نـور فطرتـه الأولى، فيعـترف وينقاد، هـذا إذا كان الاستسـلام والإنـكار لنفـوس بعينهـا. وقـد يكـون الاستسـلام للبعـض الذيـن لم ترسـخ هيئـات رذائلهـم، ولم تغلـظ حجبهـم، ولم ينطفـئ نـور اسـتعدادهم. والإنـكار لمـن ترسـخت فيـه الهيئـات وقويـت وغلبـت عليـه الشـيطنة، واسـتقرّت وكثـف الحجـاب، وبطـل الاسـتعداد والله أعلـم.
{ وجئنـا بـك شـهيداً عـلى هـؤلاء } قـد مـرّ في سـورة (النسـاء)، { ونزّلنـا عليـك الكتـاب } أي: العقـل الفرقـاني بعـد الوجـود الحقـاني { تبيانـاً لـكل شيء } تبيينـاً وتحقيقـاً لحقّيـة كل شيء، وهدايـة لمـن استسـلم وانقـاد لسـلامة فطرتـه إلى كمالـه
{ ورحمـة } لـه بتبليغـه إلى ذلـك الكـمال بالتربيـة والإمـداد وبشـارة لـه ببقائـه عـلى ذلك الكـمال أبـداً سرمـداً في الجنـان الثلاث.

{ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ ٱلأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }

{ وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }

{ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } { وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } { وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } { فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ }

{ وأوفوا بعهد الله } الذي هو تذكر العهد السابق وتجديده بالعقد اللاحق بالبقاء على حكمه في الإعراض عن الغير والتجرّد عن العوائق والعلائق في التوجه إليه { إذا عاهدتم } أي: تذكرتموه بإشراق نور النبيّ عليكم وتذكيره إياكم.

{ من عَمِل صالحاً من ذكر أو أنثى } أي: عملاً يوصله إلى كماله الذي يقتضيه استعداده، إذ الصلاح في الشخص توجهه إلى كماله أو كونه على ذلك الكمال، والفساد بالضدّ وفي العمل كونه وصلة وسيلة إليه من صاحب قلب بالغ إلى كمال الرجولية أو صاحب نفس قابلة لتأثير القلب مستفيضة منه{ وهو مؤمن } أي: معتقد للحق اعتقاداً جازماً، إذ صلاح العمل مشروط بصحة الاعتقاد وإلا لم يتصور كماله على ما هو عليه ولم يعتقده على الوجه الذي ينبغي فلم يمكنه عمل يوصله إليه فلا يكون ما يعمله صالحاً حينئذ في الحقيقه .

وإن كان في صورة الصلاح { فلنحيينه حياة طيبة } أي: حياة حقيقية لا موت بعدها بالتجرّد عن المواد البدنية والانخراط في سلك الأنوار السرمدية، والتلذّذ بكمالات الصفات في مشاهدات التجليات الأفعالية والصفاتية

{ ولنجزينهم أجرهم } من جنان الأفعال والصفات { بأحسن ما كانوا يعملون }

إذ عملهم يناسب صفاتهم التي هي مبادئ أفعالهم وأجرهم يناسب صفاتنا التي هي مصادر أفعالنا، فانظر كم بينهما من التفاوت في الحسن.

{ فإذا قرأت القرآن فاسْتَعذ بالله } فادرج عن مقام النفس بالعروج إلى جناب القدس، فإن النفس مأوى كل كدورة ومنبع كل رجس تناسب وساوس الشيطان، وتجرّدها بأحاديثها، فإن ارتقيت من مقرّها لم يكن للشيطان عليك سلطان لأنه لا يطيق نور حضور الحق وحضرة القلب مهبط أنواره وجناب صفاته المقدّسة ومحل تجلياته النورية، فعذ إليها وعذ بنور الله فيها تستحكم بنيان إيمانك باليقين.

{ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }

{ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ }

{ وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }

{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

{ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ }

فإن الإيمان الذي لا يبقى معه سلطان الشيطان كما قال تعالى: { إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا } أقل درجاته اليقين العلمي الذي محله القلب الصافي ولا يكفي هذا اليقين في نفي سلطانه إلا إذا كان مقروناً بشهود الأفعال الذي هو مقام التوكل كما قال تعالى: { وعلى ربّهم يتوكلون } والفناء في الأفعال لا يمكن مع بقاء صفات النفس، إذ بقاء صفاتها يستدعي أفعالها، ولهذا قيل: لا يمكن إيفاء حق مقام وتصحيحه وإحكامه إلا بعد الترقي إلى ما فوقه، فبالترقي إلى مقام الصفات يتم فناء الأفعال فيصح التوكل.

{ إنما سلطانه على الذين يتولونه } في مقام النفس بالمناسبة التي بينهما في الظلمة والكدورة، إذ التولي مرتب على الجنسية { والذين هم به مشركون } بنسبة القوة والتأثير إليه، بل بطاعته وانقياد أوامره للتولي المذكور.

{ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلإِيمَانِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }
{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ ٱلآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ }
{ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ }
{ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَاسِرونَ }
{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }{ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }

{ من كفر بالله من بعد إيمانه } لكون الظلمة له ذاتية بحسب استعداده الأول والنور عارضياً، فهو في حجاب خلقي عن نور الإيمان إن اعتراه شعاع قدسيّ من نفس الرسول أو من فيض القدس أو أثر فيه وعداً ووعيداً، أو كلمة حق في دعوته إلى الحق في حال إقبال من قلبه ودعاه داعية نفسانية من حصول نفع ودفع ضرّ ماليين أو جاه وعزّة بسبب الإسلام، آمن ظاهراً، ومقامه ومقرّه الكفر، فقد استحق غضب الله لأنه محجوب بحسب الاستعداد عن أول مراتب الإيمان الذي هو شهود الأفعال بالاستدلال من الصنع على الصانع فعقابه من باب الأفعال والصفات لا الذي { أكره } على الكفر بالإنذار والتخويف

{ وقلبه مطمئن } ثابت متمكن مملوء { بالإيمان } لنورية فطرته في الأصل وكون النور ذاتياً له بحسب الفطرة، والكفر والاحتجاب إنما عرض بمقتضى النشأة. وقد زال الحجاب العارضي. { ولكن من شرح بالكفر صدراً }أي: طاب به نفساً ورضي واطمأن لكونه مستقرّه ومأواه الأصلي { فعليهم غضب } عظيم،

أي: غضب { من الله ولهم عذاب عظيم } لاحتجابهم عن جميع مراتب الأنوار من الأفعال والصفات والذات، فما أغلظ حجابهم وما أعظم عذابهم.

{ ذلك } أي: انشراح الصدر بالكفر والرضا به { بـ } سبب

{ أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة } لكونها مبلغ علمهم ونهايته، وما بلغ علمهم إلى الآخرة لانسداد بصائر قلوبهم ومناسبة استعدادهم للأمور الغاسقة السفلية من الموادّ الجسمية، فأحبوا ما شعروا به ولاءم حالهم. وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة لاستلزامه الحجاب الأغلظ الذي لا خطيئة إلا تحته وفي طيّه { وأن الله لا يهدي القوم الكافرين } أي: المحجوبين بأغلظ الحجب لامتناع قبولهم للهداية.

{ أولئكَ الذين طَبَع الله على قلوبهم } بقساوتها وكدورتها في الأصل فلم ينفتح لهم طريق الإلهام والفهم والكشف { وسمعهم وأبصارهم } بسدّ طريق المعنى المراد من مسموعاتهم وطريق الاعتبار من مبصراتهم إلى القلب، فلم يؤثر فيهم شيء من أسباب الهداية من طريق الباطن من فيض الروح وإلقاء الملك وإشراق النور ولا من طريق الظاهر بطريق التعليم والتعلم والاعتبار من آثار الصنع { وأولئك هم الغافلون } بالحقيقة لعدم انتباههم بوجه من الوجوه وامتناع تيقظهم من نوم الجهل بسبب من الأسباب.

{ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون } الذين ضاعت دنياهم التي استنفدوا في تحصيلها وسعهم، وأتلفوا في طلبها أعمارهم، وليسوا من الآخرة في شيء إلا في عذاب هيئات التعلقات ووبال التحسرات.

{ ثم إنّ ربّك للذين هاجروا } أي: تباعد بين هؤلاء المحجوبين الذين: إنّ ربّك عليهم بالغضب والقهر، وبين الذين: إنّ ربّك لهم بالرضا والرحمة وهم الذين هاجروا عن مواطن النفس بترك المألوفات والمشتهيات { من بعد ما فُتِنوا } وابتلوا بحكم النشأة البشرية { ثم جاهدوا } في الله بالرياضات وسلوك طريقه بالترقي في المقامات والتجريد عن الهيئات والتعلقات { وصبروا } على ما تحب النفس وتكرهه بالثبات في السير { إنّ ربّك من } بعد هذه الأحوال { لغفور } لهم بستر غواشي الصفات النفسانية { رحيم } بإفاضة الكمالات وإبدال صفاتهم بالصفات الإلهية.

{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }

{ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }

{ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }

{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلْدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخَنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلاَلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ }

{ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

{ وَعَلَىٰ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }

{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ وضرب الله مثلاً } للنفس المستعدّة، القابلة الصافية عن الكدورات، المستفيدة من فيض القلب، الثابتة في طريق اكتساب الفضائل، الآمنة من خوف فواتها وفنائها، المطمئنة باعتقادها { يأتيها رزقها رغداً } من العلوم النافعة والفضائل الحميدة والأنوار الشريفة { من كل مكان } أي: من جميع جهات الطرق البدنية كالحواس الممتارة إياها قوت العلوم الجزئية، والجوارح، والآلات التي تطاوعها في الأعمال الجميلة، وتمرين الفضيلة إذا كانت منقادة للقلب مطواعة له، قابلة لفيضه، باقية على معتقدها من الحق تقليداً. ومن جهة القلب كإمداد الأنوار، وهيئات الفضائل، فظهرت بصفاتها بطراً وإعجاباً بزينتها وكمالها.

ونظراً إلى ذاتها ببهجتها وبهائها فاحتجبت بصفاتها الظلمانية عن تلك الأنوار ومالت إلى الأمور السفلية من زخارف الدنيا واللذات الحسيّة وانقطع إمداد القلب عنها، وانقلبت المعاني الواردة إليها من طرق الحس هيئات غاسقة من صور المحسوسات التي انجذبت إليها { فأذاقها الله لباس الجوع والخوف } بانقطاع مدد المعاني والفضائل والأنوار من القلب والخوف من زوال مقتنياتها من الشهوات والمألوفات الحسيّة والمشتهيات { بما كانوا يصنعون } من كفران نعَم الله باستعمالها في طلب

اللـذات الحسيّة والزخـارف الدنيويـة ولظهورهـا بصفاتهـا وإعجابهـا بكمالاتهـا وركونهـا إلى الدنيـا ولذاتهـا واسـتيلائها عـلى القلـب بهيئاتهـا وأفعالهـا وحجـب صاحبهـا عـن نـوره ومـدده بطلـب شـهواتها، كـما قـال أمـير المؤمنـين عليـه السـلام: « نعـوذ بالله مـن الضلال بعـد الهـدى « بقريـة صفتهـا مـا ذكـر.

{ ولقـد جاءهـم رسـولٌ منهـم } أي: مـن جنسـهم وهـي القـوة الفكرية التي هـي من جملة قـوى النفـس بالمعـاني المعقولـة والآراء الصادقـة { فكذبـوه } بعـدم التأثـر بهـا والانقيـاد لأوامرهـا ونواهيهـا العقليـة والشرعيـة وتـرك العمـل بمقتضاهـا وقلّة المبـالاة بهـا، ولم يرفعوا بهـا رأسـاً عـن الانهـماك فيـما هـم عليـه { فأخذهـم } عـذاب الاحتجـاب والحرمان عـن لذة الكـمال في حالـة ظلمهـم وزيغهـم عـن طريـق الفضيلـة ونقصهـم لحقـوق صاحبهم.

{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }

{ شَاكِراً لأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

{ وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ }

{ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ }

{ إن إبراهيـم كان أمّـة } قـد مـرّ أن كل نبـي يبعـث في قـوم يكـون كمالـه شـاملاً لجميـع كـمالات أمتـه وغايـة لا يمكـن لأمّتـه الوصـول إلى رتبـة إلا وهـى دونـه، فهـو مجمـوع كـمالات قومـه ولا يصـل إليهـم الكـمال في صفـة مـن صفـات الخـير والسـعادة إلا بواسـطته بـل وجوداتهـم فائضـة مـن وجـوده فهـو وحـده أمـة لاجتماعهـم بالحقيقـة في ذاتـه، ولهـذا قـال عليـه الصـلاة والسـلام:

« **لـو وزنـت بأمتـي لرجحـت بهـم** « { قانتـاً } للـه مطيعـاً لـه، منقـاداً بحيـث لا يتحـرك منـه شـعرة إلا بأمـره لاسـتيلاء سـلطان التوحيـد عليـه ومحـو صفاتـه بصفاتـه، واتحـاده بذاتـه، ولهـذا سـمي خليـل اللـه لمخالـة الحـق إيـاه في شـهوده. فخلّتـه عبـارة عـن مـزج بقيـة مـن ذاتـه تـؤذن بالإثنينيـة أمـا تـرى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لمـا لم يبـق منـه شيء مـن بقيتـه سـمي حبيـب اللـه فمحـو صفاتـه في صفـات الحـق بالكليـة وبقـاء أثـر مـن ذاتـه دون العـين قنوتـه للـه وإلا كان قانتـاً باللـه لا للـه، كـما قـال لمحمـد عليـه الصـلاة والسـلام:

{ **وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ** }[النحل، الآية: ١٢٧]

{ حنيفاً } مائلاً عن كل باطل حتى عن وجوده ووجود كل ما سواه تعالى معرضاً عن إثباته. وما كان { من المشركين } بنسبة الوجود والتأثير إلى الغير. { شاكراً لأنعمه } أي: مستعملاً لها على الوجه الذي ينبغي لكونه متصرفاً فيها بصفات الله فتكون أفعاله إلهية مقصودة لذاتها لا لغرض فلا يمكنه ولا يسعه إلا توجيه كل نعمة إلى ما هو كمالها على مقتضى الحكمة الإلهية والعناية السرمدية { اجتباه } اختاره في العناية الأولى بلا توسط عمل منه وكذا لكونه من المحبوبين الذين سبقت لهم منه الحسنى، فتتقدم كشوفهم على سلوكهم { وهداه إلى صراط مستقيم } أي: بعد الكشف والتوحيد والوصول إلى عين الجمع هداه إلى سلوك صراطه ليقتدي به، وردّه من الوحدة إلى الكثرة وإلى الفرق بعد الجمع لإعطاء كل ذي حق حقه من مراتب التفاصيل،

وتبيين أحكام التجليات في مقام التمكين والاستقامة وإلا لم يصلح للنبوّة.

{ وآتيناه في الدنيا حسنة } من تمتيعه بالحظوظ لتتقوى نفسه على تقنين القوانين الشرعية والقيام بحقوق العبودية في مقام الاستقامة والإطاقة بحمل أعباء الرسالة { وآتيناه } المُلْك العظيم مع النبوة، كما قال:

{ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً }[النساء، الآية: ٥٤]

ليتمكن من تقرير الشريعة ويضطلع بأحكام الدعوة والذكر الجميل كما قال:

{ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً }

[مريم، الآية: ٥٠] والصلاة والسلام عليه كما قال:

{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلآخِرِينَ سَلاَمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }

[الصافات، الآيات: ١٠٨-١٠٩] { وإنه في الآخرة } أي: في عالم الأرواح { لمن الصالحين } المتمكنين في مقام الاستقامة بإيفاء كل ذي حق حقه، وتبليغه إلى كماله وحفظه عليه ما أمكن.

{ ثم أوحينا إليك } أي: بعد هذه الكرامات والحسنات التي أعطيناه إياها في الدارين شرّفناه وكرمناه بأمرنا باتباعك إياه { أن اتّبع ملّة إبراهيم } في التوحيد وأصول الدين التي لا تتغير في الشرائع كأمر المبدأ والمعاد والحشر والجزاء وأمثالها، لا في فروع الشريعة وأوضاعها وأحكامها، فإنها تتغير بحسب المصالح واختلاف الأزمنة والطبائع وما عليه أحوال الناس من العادات والخلائق.

{ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }

{ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ }

{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ }

{ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه } أي: ما فُرِض عليك إنما فرض عليهم فلا يلزمك اتباع موسى في ذلك بل اتباع إبراهيم.

{ ادْع إلى سبيل ربّك } الخ، أي: لتكن دعوتك منحصرة في هذه الوجوه الثلاثة لأن المدعو إما أن يكون خالياً عن الإنكار أو لا، فإن كان خالياً لكونه في مقام الجهل البسيط غير معتقد لشيء، فإما أن يكون مستعداً غير قاصر عن درك البرهان بل يكون برهاني الطباع أو لا.

فإن كان الأول فادعه بالحكمة وكلمه بالبرهان والحجة واهده إلى صراط التوحيد بالمعرفة، وإن كان قاصر الاستعداد فادعه بالموعظة الحسنة والنصيحة البالغة من الإنذار والبشارة والوعد والوعيد والزجر والترهيب واللطف والترغيب، وإن كان منكراً ذا جهل مركب واعتقاد باطل فجادله بالطريقة التي هي أحسن من إبطال معتقده بما يلزم من مذهبه بالرفق والمداراة على وجه يلوح له أنك تثبت الحق وتبطل الباطل لا غرض لك سواه.

{ إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله } في الأزل لشقاوته الأصلية فلا ينجع فيه أحد هذه الطرق الثلاثة { وهو أعلم بالمهتدين } المستعدّين، القابلين للهداية لصفاء الفطرة.

{ وإن عاقبتم } الخ، أي: الزموا سيرة العدالة والفضيلة لا تجاوزوها فإنها أقلّ درجات كمالكم، فإن كان لكم قدم في الفتوة وعرق راسخ في الفضل والكرم والمروءة فاتركوا الانتصار والانتقام ممن جنى عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة واصبروا على الجناية فإنه { لهو خير للصابرين } ألا تراه كيف أكده بالقسم واللام في جوابه وترك المضمر إلى المظهر حيث ما قال: لهو خير لكم، بل قال:

{ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ }[النحل، الآية: ١٢٦]

للتسجيل عليهم بالمدح والتعظيم بصفة الصبر، فإن الصابر ترقى عن مقام النفس وقابل فعل نفس صاحبه بصفة القلب فلم يتكدّر بظهور صفة النفس وعارض ظلمة نفس صاحبه بنور قلبه، فكثيراً ما يندم ويتجاوز عن مقام النفس، وتنكسر سورة غضبه فيصلح، وإن لم يكن لكم هذا المقام الشريف فلا تعاقبوا المسيء لسورة الغضب بأكثر مما جنى عليكم فتظلموا، أو تتورطوا بأقبح الرذائل وأفحشها فيفسد حالكم ويزيد وبالكم على وبال الجاني.

{ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ }

{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }

{ واصْبِر وما صبرك إلا بالله } اعلم أنّ الصبر أقسام: صبر لله، وصبر في الله، وصبر مع الله، وصبر عن الله، وصبر بالله. فالصبر لله هو من لوازم الإيمان وأول درجات أهل الإسلام.، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

« الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر » ،

وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات مرغوب أو وقوع مكروه، وهو من فضائل الأخلاق الموهوبة من فضل الله لأهل دينه وطاعته المقتضى للثواب الجزيل. والصبر في الله هو الثبات في سلوك طريق الحق، وتوطين النفس على المجاهدة بالاختيار، وترك المألوفات واللذات، وتحمل البليّات، وقوّة العزيمة في التوجه إلى منبع الكمالات، وهو من مقامات السالكين، يهبه الله لمن يشاء من فضله من أهل الطريقة. والصبر مع الله هو لأهل الحضور، والكشف عند التجرّد عن ملابس الأفعال والصفات، والتعرّض لتجليات الجمال والجلال، وتوارد واردات الأنس والهيبة، فهو بحضور القلب لمن كان له قلب، والاحتراس عن الغفلة والغيبة عند التلوينات بظهور النفس وهو أشقّ على النفس من الضرب على الهام، وإن كان لذيذاً جداً.

والصبر عن الله هو لأهل الجفاء والحجاب، نورانياً كان أو ظلمانياً، وهو مذموم جداً، وصاحبه ملوم حقاً وكلما كان أصبر كان أسوأ حالاً وأبعد، وكلما كان في ذلك أقوى كان ألوم وأجفى أو لأهل العيان والمشاهدة من العشاق والمشتاقين المتقلبين في أطوار التجلي والاستتار.

والمنخلعين عن الناسوت المتنوّرين بنور اللاهوت ما بقي لهم قلب ولا وصف كلما لاح لهم نور من سبحات أنوار الجمال احترقوا وتفانوا، وكلما ضرب لهم حجاب ورد وجوههم تشويقاً وتعظيماً ذاقوا من ألم الشوق وحرقة الفرقة ما عيل به صبرهم وتحقق موتهم وهو من أحوال المحبين ولا شيء أشق من هذا الصبر وأشد تحملاً واقْتَل، فإن أطاقه المحب كان خافياً وإن لم يطق كان فانياً فيه هالكاً، وفي هذا المقام قال الشبلي:

صابر الصبر فاستغاث به الصبـ ـر فصاح المحب بالصبر صبرا

أي: صابر الحبيب الصبر، فاستغاث به الصبر عند إشرافه على النفاد فصاح المحب بالصبر صبراً على النفاد والهلاك، فإن فيه النجاح والفلاح.

والصبر بالله هو لأهل التمكين في مقام الاستقامة الذين أفناهم الله بالكلية وما ترك عليهم شيئاً من بقية الأنية والإثنينية ثم وهب لهم وجوداً من ذاته حتى قاموا به وفعلوا بصفاته وهو من أخلاق الله تعالى ليس لأحد فيه نصيب ولهذا أمره به.

ثم بيّن أن ذلك الصبر الذي أمرت به ليس من سائر أقسام الصبر حتى يكون بنفسك أو بقلبك بل هو صبري لا تباشره إلا بي ولا تطيقه إلا بقوّتي، ولعدم وفاء قوته بهذا الصبر قال: